المـقال الـثاني

مجلة متون

العدد السادس عشر-ابريل 2018

متـــــون

مجلة علمية أكاديمية محكمة، تصدرها كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية
جامعة الدكتور مولاي الطاهر: سعيدة ـ الجزائر

العدد السادس عشر- ابريل 2018

- السنة التاسعة -

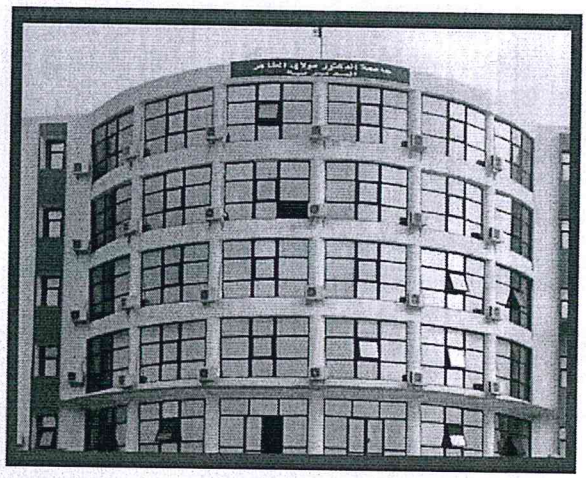

الايداع القانوني
ر.إ: 424 - 2008
الرقم الدولي الموحد للدوريات
ردمد:8518 - 1112

العنوان: مجلة "متون" كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة د. مولاي الطاهر
حي النصر سعيدة 20000 الجزائر الهاتف : 88 76 47 048 الفاكس: 88 76 47 048

مُتـــــون

MOUTOUNE

مجلة علمية أكاديمية محكمة، تصدرها
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
جامعة الدكتور مولاي الطاهر: سعيدة- الجزائر

المدير الشرفي
أ.د. فتح الله وهبي تبون
مدير جامعة سعيدة

مدير المجلة مسؤول النشر
ا.د. بكري عبد الحميد
عميد كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

رئيس التحرير
أ.د محمد حفيان

الهيئة العلمية

ا.د. بوعرفه عبد القادر [وهران] اد. فيدوح عبد القادر[قطر] اد محمد عثمان الخشت [جامعة القاهرة] ا.د. حسن حماد جمهورية [مصر] د. محمد عبد الحميد المالكي [ليبيا] ا.د. زكي الميلاد [السعودية] ا.د عامر عبد زيد الوائلي [العراق] ا.د. بودوايه مبخوت [تلمسان] د.غيضان السيد علي [مصر] د. محمد الناصري [المملكة المغربية] د. وائل أحمد خليل الكردي [السودان] د. سهيل فرح نعيم [لبنان - روسيا] د.صالحي صلاح الدين [جامعة غرناطه اسبانيا] د.عطاء الله حبيب [جامعة كومبلوتنس مدريد] د.عتو نوريه [جامعة كومبلوتنس مدريد] قدور أحمد[جامعة كومبلوتنس مدريد] سليم يلماز [جامعة مرمرة اسطنبول] عبد النبي الأشقر[جامعة مونبيليه3]

لجنة القراءة والتحرير

ا. د.محمد حفيان [جامعة سعيدة] ا.د عبد الله موسى [جامعة سعيدة] د.شريفي علي[جامعة سعيدة] د.رشيد بومعالي[جامعة سعيدة] د.شباب عبد الكريم [جامعة سعيدة]د.قدوري عبد الكريم[جامعة سعيدة] د.ادريس بن مصطفى [جامعة سعيدة] د.حسن عالي [جامعة سعيدة] د.فارح مسرحي[جامعة باتنه] د.بلقاسم بومديني [جامعة معسكر] د.كبداني فؤاد [جامعة سعيدة] د.لكحل مصطفى [جامعة سعيدة]، د عفيان محمد [سعيدة] د.بداني فؤاد [سعيدة] د بجاوي وفاء [جامعة الجزائر2] د.دادوة حضريه نبيه[crasc oran] د. بن دوبه شريف الدين [جامعة سعيدة]

قواعد النشر وشروطه في مجلة متون

تنشر المجلة وترحب باسهامات البحوث العلمية الأصيلة التي تتوافر فيها شروط البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً ومحليا . ويتم استلام البحث المستوفي للشروط والمعاييروالتي لم يسبق نشرها من قبل .

التزامه بقواعد النشر المتبعة في المجلة،وفق المنهجية العلمية المطلوبة والتقيد بالاصالة والتوثيق والجدة

وقوع موضوع البحث ضمن إهتمامات وأهداف المجلة التي تعنى بقضايا التعليم الجامعي العالي في مجالات العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية وبالاخص في المجالات التالية:

الفلسفة.

علم النفس وعلوم التربية.

علم الاجتماع .

علم التاريخ وعلم الاثار.

علوم الاعلام والاتصال .

علم المكتبات والمعلومات والعلوم الوثائقية وعلم الارشيف.

تحقيق التراث و المخطوطات.

تقارير المؤتمرات والندوات العلمية التي لها علاقة بموضوعات المجلة..

لا تعتمد المجلة نمطاً واحداً في عناصر تقرير البحث، نظرا للتنوع الكبير في طبيعة البحوث التربوية من الكمي إلى النوعي، ومن التجريبي الميداني إلى الوصفي، إلا ان العناصر الرئيسية المشتركة بينها تتمثل في:

مقدمة أو خلفية موضوع البحث وأدبياته ومسوغاته وأهميته.

مشكلة البحث وتحديد عناصرها وربطها بالمقدمة.

منهجية البحث المناسبة لطبيعة المشكلة البحثية وتتضمن الإجراءات والبيانات الكمية أو النوعية التي مكنت الباحث من معالجة المشكلة البحثية ضمن محددات وافتراضات بحثية واضحة.

نتائج البحث ومناقشتها مناقشة علمية مبنية على إطار فكري متين يعكس تفاعل الباحث مع موضوع البحث من خلال ما يتوصل اليه الباحث من استنتاجات وتوصيات مستندة إلى تلك النتائج.

على الباحث ان لا يعتمد على المصادر الثانوية غير الموثوقة في هذا المجال، وفيما يلي بعض العناصر التي يتوقع من الباحث العودة إلى قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية التي تساعد في التعرف على المعايير والشروط في هذا النظام ومنها (مع ملاحظة بعض المعايير غير الحدية، وتحتفظ المجلة ببعض الخصوصيات في هذا الإطار):

عدد صفحات البحث (25 صفحة كحد أقصى بما في ذلك ملاحق البحث).

عدد كلمات الملخص بالعربية (200 كلمة كحد أقصى).

عدد كلمات العنوان (لاتزيد عن 20 كلمة).

عدد الكلمات المفتاحية (Keywords)(3- 5 كلمات).

التوثيق في المتن وقائمة المراجع من كتب ودوريات مع الإختلاف في عدد المؤلفين، والتوثيق من الإنترنت في ضوء طبيعة المعلومات المتوفرة.

الإلتزام بأخلاقيات البحث وحقوق الملكية.

يقدم البحث مكتوباً باللغة العربية أو اللغة الإنجليزية ومطبوعاً على الكمبيوتر بمسافات مزدوجة، ومتوافقة مع برنامج Ms Word حجم خط 14 simplifide arabic والعناوين ب 16على ورق (A4) على نسخة الكترونية او على CD، وان لا يضاف للبحث أي لون غير أسود- أبيض في أي موقع من البحث، وترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى موقع المجلة بالبوابة الوطنية للمجلات :

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/146

من الضروري أن يظهر في الصفحة الأولى من البحث عنوان البحث، واسم الباحث(الباحثين)، وجهة العمل، والعنوان (العناوين ، والبريد الإلكتروني،

يخضع البحث المرسل إلى المجلة إلى التحكيم من قبل هيئة التحرير لتقرير أهليته للتحكيم الخارجي، ويحق للهيئة أن تعتذر عن السير في اجراءات التحكيم الخارجي أو عن قبول البحث للنشر في أي مرحلة دون إبداء الأسباب.

البحث المقبول للنشر يأخذ دوره للنشر حسب تاريخ قبوله للنشر بصرف النظر عن العدد الذي تم تحديده أو العدد الذي أرسل إليه أو في أحد الأعداد التي تليه.

تعتذر المجلة عن عدم إعادة البحث الذي يتم ارساله إلى المجلة (بكليته أو أجزاء منه) إلى الباحث في حالة عدم قبوله للنشر في أي مرحلة من المراحل، كما تعتذر عن أي طلب بتزويد الباحثين بتقارير التحكيم للبحث الذي يتم رفضه، إلا باستثناء من هيئة التحرير.

ما ينشر في المجلة يعبر عن وجهة الباحث (الباحثين)، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

ترتب البحوث عند النشر في عدد المجلة وفق اعتبارات فنية، وليس لأي اعتبارات أخرى أي دور في هذا الترتيب، كما أنه لا مكان لأي اعتبارات غير علمية في إجراءات النشر.

إذا استخدم الباحث برمجيات أو أدوات قياس من اختبارات واستبانات، أو غيرها من أدوات البحث، فعلى الباحث أن يقدم نسخة كاملة من الأداة التي استخدمها إذا لم ترد في متن البحث أو لم ترفق مع ملاحقه، وأن يشير إلى الإجراءات القانونية التي تسمح له باستخدامها في بحثة. وأن يحدد للمستفيدين من البحث الآلية التي يمكن اتباعها للحصول على البرمجية أو الأداة.

لا تتقاضى المجلة أجورا على النشر فيها، ولا تدفع للباحث مكافأة مالية عن البحث الذي ينشر فيها. وبمجرد اشعار الباحث بقبول بحثه للنشر قبولا نهائياً، تنتقل حقوق الطبع والنشر إلى مجلة متون.

فهرس المحتويات

مسرحة المناهج، رؤية حديثة في إدارة النشاط التعلمي الصفي

د. ورغي سيد أحمد 07

فلسفة الأخلاق عند مسكويه، بين التأثير اليوناني والشريعة الإسلامية

د/بن دحمان حاج، جامعة وهران2 محمد بن أحمد 23

ظاهرة اللغة بين مقاربات البحث و مناهج التعليم.

أ.د.ميمون مجاهد،معهد اللغة العربية جامعة الملك عبد العزيز جدة، المملكة العربية السعودية 42

القراءة التفكيكية للدين –دريدا في مساءلته للحداثة الدينية الكانطية–

سماح حبطة طالبة دكتوراه /جامعة باتنة 65

الشراكة التعاونية بين أسر المعاقين عقليا والمهنيين

الأستاذة: عايش صباح جامعة سعيدة 82

الدين والتهكم عند كيركيغارد.

بن زينب شريف طالب دكتوراه علوم/ جامعة وهران2. 103

الدين والتصوف في الفكر العربي المعاصر، أدونيس أنموذجا

د.كرد محمد، بومعزة هجيرة 116

الدولة في سياق تعدد المفاهيم مقاربة في تفكيك النشأة والمسار الحضاري

العراجي عبد الكريم :طالب دكتوراه علوم جامعة وهران2 125

الاحتراق النفسي عند أساتذة التعليم الثانوي – دراسة تتبعية –

أ. معروف محمد جامعة وهران2 - الجزائر 140

اضطرابات التعلق و الصرع عند الطفل

طهراوي عبد المجيد 158

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

فلسفة الأخلاق عند مسكويه
بين التأثير اليوناني والشريعة الإسلامية

د/بن دحمان حاج، جامعة وهران2 محمد بن أحمد

الملخص:

لقد استوعبت الفلسفة الإسلامية جميع قضايا الفكر الفلسفي التي عالجها الفكر اليوناني، بحيث إننا نجد إضافة إلى قضايا الوجود والله والإنسان، فإننا نجد سؤال الأخلاق قد طرح بشكل كبير في الفلسفة الإسلامية. ورغم كتابات كل من أبو حامد الغزالي والماوردي وغيرهما في مجال الأخلاق، فإننا نجد الفيلسوف الإسلامي **مسكويه**يُعد أبرزمنعرف بكتاباته في مجال الفلسفة الأخلاقية، ولهذا تأتي هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على فلسفته الخلقية وعلى مصادرها الفلسفية والمتمثلة فيمصدرين أساسيين هما أولاً المصدر اليوناني، خاصة في كتابات كل من أفلاطون وأرسطو، أما المصدر الثاني، فيتمثل في نصوص الشريعة الإسلامية، وهنا يمكن طرح السؤال التالي: كيف وفق الفيلسوف مسكويه في التوفيق بين هذين المصدرين على الرغم من تناقضهما في كثير من الجوانب؟.

الكلمات المفتاحية:

مسكويه، الأصالة، الاتباع، اليونان، الاخلاق النيقوماخية

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

المقدمة:

يهدف هذا المقال إلى تحليل الفلسفة الخلقية لفيلسوف يعتبر من الذين أسهموا بشكل كبير في التفكير الأخلاقي الإسلامي، إنه الفيلسوف مسكويه*، بحيث "لا ينبغي أن تكتب رسالة في الأخلاق في الفكر الإسلامي دون ذكر له، فلقد كانت شهرة فلاسفة الإسلام بغير الأخلاق، أما هو فلقد وقف عليها عنايته واهتمامه، ربما أكبر من أي مفكر إسلامي آخر" [1] إن الفيلسوف مسكويه اضطلع بالجانب الأخلاقي من فلسفة أرسطو في الوقت الذي اضطلع به الفلاسفة الآخرون بالجوانب الفكرية الأخرى من فلسفته كالمنطق والإلهيات وغيرها.

سنحاول إبراز فلسفته الخلقية ومدى ارتباطها بالفلسفة اليونانية من خلال أشهر كتبه في هذا المجال وهو كتاب"تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، وهو في الحقيقة الكتاب الوحيد الذي استطعنا أن التوصل إليه رغم محاولاتنا الجادة في البحث عن مؤلفاته الأخرى التي يعالج فيها المسائل الأخلاقية "ككتاب السعادة".وقبل البدء في تحليل الكتاب ومقارنة فلسفته الأخلاقية بفلسفة أرسطو خصوصاً، نرى أنه من المفيد أن نكتب فكرة موجزة حول موضوعات الكتاب.

هذا الكتاب يتكون من ستة أقسام: الأول، في مبادئ الأخلاق وماهية النفسوقواها ماهية الخير والفضائل والرذائل. والثاني، في الخُلق وتهذيبه. والثالث، في الخير والسعادة. والرابع، في العدالة وأقسامها. والخامس، في المحبة والصداقة. أماالسادس، في صحة النفس وطريقة حفظها.

ما نلاحظه من هذا التقسيم أن الأقسام الخمس الأولى تتفق مع الموضوعات الخلقية التي طرقها أرسطو في كتابه"الأخلاق إلى نيقوماخوس"، أما القسم الأخير (السادس) فيعكس التأثيرات الرواقية والأفلاطونية المحدثة التي تسربت إلى العالم الإسلامي من خلال الشروح والتعاليق ولا سيمافرفريوس الصوري وجالينوس.

من خلال هذا العرض الموجز لأقسام الكتاب، نجد أنه "التأليف الأول الذي يحاول وضع أسس علم الأخلاق باعتباره علماً مستقلاً داخل النسق بُعد الإلهيات" [2]. لقد كان الغرض من وضع كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" كما يذكر المؤلف في مقدمته، "أن نحصل لأنفسنا خُلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة،وتكون مع ذلك سهلة علينا، لا كلفة فيها ولا مشقة،ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي"[3].

وفي عرضنا لفلسفة مسكويه(المعلم الثالث كما يلقب) الأخلاقية، سنلزم أنفسنا بالتطرق لنفس المواضيع ونفس ترتيبها كما فعلنا مع المعلمين الأول والثاني، أي أرسطو والفارابي. وهي كالتالي: السعادة ثم الفضيلة ثم حرية الإرادة وكذلك تبيان موقفه من اللذة.

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

I-نظرية السعادة عند مسكويهوأصولها:

لقد أكدنا في بداية هذا الفصل، أن الانتشار الواسع للفلسفة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، أدى إلى نضج الوعي الإسلامي وهذا النضج نقل معالجة المسائل الفلسفية عامة والمسائل الأخلاقية خاصة . لأن هذا ما نركز عليه في هذه المذكرة . من المرحلة التي تمتاز بالطاعة ورد الفعل العاطفي تجاه التعاليم الدينية إلى المرحلة العقلانية، التي أخضع فيها فلاسفة الإسلام المسائل الأخلاقية إلى أحكام العقل ومحاجاته. ومن أهمها مسألة السعادة وكيفية الحصولعليها.فإذا كانت السعادة هي الغاية العليا عند أرسطو وخاصة الفارابي الذي جعلها عنواناً لكثير من مؤلفاته، فإن هذا ما سنلاحظه مع الفيلسوف الإسلامي الآخر مسكويه.

يقرر مسكويه أن الغاية متأصلة في أفعال الإنسان وتصرفاته،وفي طبيعة البدن وأعضائه المختلفةوفي طبيعة النفس وملكاتها،وفي الآلاتأيضاً، فلكل آلة غرض معين تحققه وبتحقيقه يتمكمالها، لأنها صنعت لتأدية وظيفة معينة، يقول في هذا الصدد:"فإذن الواجب الذي لا مرية فيه أن نحرص على الخيرات التي هي كمالنا،والتي من أجلها خلقنا،ونجتهد في الوصول إلى الانتهاء إليها،ونتجنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها. فإن الفرس إذا قصر عن كماله ولم تظهر أفعاله الخاصة به على أفضل أحوالها حط عن مرتبة الفروسية واستعمل بالإكاف(البرذعة) كما تستعمل الحمير وكذلك حال السيف وسائر الحالات، متى قصرت ونقصت أفعالها الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمالما دونها" [4]،وبعد أن يشرح مسكويه ذلك ينتهي إلى " أن سعادة الإنسان هي في صدور أفعاله عنه بحسب تمييزه ورويته" [5]،أي بحسب أحكام العقل. فالباعث الأكبر للإنسان العاقل عند ابن مسكويه هو السعادة القصوى، فهي الغاية التي لا غاية بعدها وهي الغايةالنهائية، أي الخير الأسمى. إليها يجب أن يوجه العقلاء كل مجهوداهم في أمر سلوكهم ويتخذونها معياراً يقدرون به أعمالهم. فكل فعل يقرب منها فهو خير،وكل فعل يبعد عنها فهو من الشر،وعليه فالسعادة القصوى هي القطب الجاذب، الذي يسعى أن يصل إليه كل إنسان سليم صحيح التفكير،وفي هذا يقول مسكويه:"الخير هو المقصود من الكل وهو الغاية الأخيرة" [6].

وإذ يجعلمسكويه السعادة هي الغاية القصوى فهو هنا تابع للمعلم الأول، كما لاحظنا ذلك في الفصل الثاني. ويبدو تأثير أرسطو بارزاً في مستهل المقالة الثالثة، التي يفرق فيها بين الخير والسعادة، حيث يقول:"نبدأ بمعونة الله تعالى في هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة، بعد أن نذكر ألفاظ أرسطو طاليس اقتداء به وتوفيه لحقه" [7].

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ويلاحظ المفكر محمد أركون " أن أرسطو ينتمي إلى خانة المصادر المهيمنة، ذلك أن مسكويه قد استشهد به (24)مرة، أما أفلاطون وجالينوس ** فقد استشهد بكل منهما أربع مرات فقط. أما النبي محمد والإمام علي فتم الاستشهاد بهما مرتين لكل واحد"[8].

نعود الآن إلى المقالة الثالثة التي يعتمد فيها على أفكار أرسطو،والتي يفرق فيها بين الخير والسعادة، فهو ينقل عن أرسطو أنواع الخير، "فمن الخير ما يكون شريفاً أو ممدوحاً أو نافعاً" [9]،الأول ما يكون شرفه من ذاته وبه يشرف صاحبه كالحكمة،والثانيكالفضائلوما يكون عنها من أفعال جميلة ممدوحة إلا أنها لا بلغ في النبالة الضرب الأول،والثالث، كالغنى والجاه وحسن السمعة لدى الناس وغير ذلك من الخيرات التي تطلب لا لذاتها بل لتكون سبيلاً لأخرى غير منها.

والخير ينقسم على نحو آخر إلى ما هو غاية تامة كالسعادة، أو غير تامة كالصحة واليسار، إذن السعادة هي الخير التام في نفسه، بحيث لا يحتاج من بلغه إلى شيء آخر وراءه،ولكن «لا يوصل إليه إلا بسعادات أخرى،وهي التي في البدن،والتي خارج البدن"[10].

من الجلي أن مسكويه يدل بدلوه حول إشكالية علاقة السعادة القصوى بالخيرات الجزئية. فهو يوافق الفيلسوف أرسطو من جهة،ومنجهةأخرى، لا يقر رأي القائلين بأنها لا ترتبط مطلقاً بغيرها من السعادات،وأنها قائمة بنفسها لا تحتاج في تمامها إلى غيرها من سعادات البدن والأمور الخارجية التي يصح أن تمهد لها،ويذكرهمبالاسموهم: فيثاغورث وبقراط وأفلاطون" [11]. وقبل توضيح رأيه حول هذا الإشكال، رأينا من الضروري التعرف على علاقة السعادة باللذة عنده.

2-السعادة واللذة:

يقول مسكويه مصوراً اللذات الحسية ومحدداً موقفه منها تحت عنوان "كمال الإنسان ليس في اللذات المعنوية" ما يلي:"وسيظهر عند ذلك أن من رضي لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته وأقصى سعادته فقد رضي بأخسّ العبودية لأخسّ الموالي لأنه يصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبداً للنفس الدنيئة التي يناسب بها الخنازير والديدان وخسائس الحيوانات التي تشاركه في هذه الحال" [12]،الواقع أن مسكويه يرفض أن تكون السعادة القصوى -التي هي الخير الأسمى -هي اللذة الخالصة، وذلك لأن عنصر اللذة الخالص تشوبه المادة، والخير روحاني صرف فلا يتفق معه في طبيعته، ولهذا فمن الخطأ البالغ أن يتخذ الإنسان اللذة غايته النهائية، لأنها تتناقض مع أشرف عناصره التي يجب أن يخضع لها في حياته، ألا وهو العقل.

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ينتقد مسكويه بشدة أصحاب مذهب اللذة الذين اتخذوها مثلهم الأعلى،ووصفهم بأنهم في الدرك الأسفل من القدر الإنساني لأنهم الرعاع، الذين يعيشون عبيداً لشهواتهم الجامحة وحواسهم الدنيئةوهم بذلك "قد جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد المهين،وكالأجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية لتخدمها في المآكل والمشارب والمناكح،وترتبهالها،وتعدلهاإعداداًكاملاً موافقاً " [13]. يشير مسكويه هنا ولو ضمنياً "إلى شريحة اجتماعية واسعة في عصره، شريحة لا همّ لها إلا البحث عن المتع والشهوات الحسية،وبالتالي فكلامه يدل على واقع محسوس وليس مجرد تنظير معلّق في الفراغ"[14].

ما نستنتجه من موقفه هذا، أن مسكويه متأثر بموقف أرسطو الذي صرح بأن اللذة ليست هي الخير الأعلى،ومتأثر أيضاً بجالينوس الذي نقد القائلين باللذة،وصرح هو الآخر بأن الذين اختاروا أن تكون غايتهم اللذة لا الجميل

" فهم الخبثاء الذين سيرتهم أسوأ السير وأردأها"[15].

فالسعادة القصوى في نظر مسكويه تستلزم أن يتركب الإنسان من روح و بدن لا من روح فقط, و هي تتحقق إبان حياة الإنسان في هذه الدنيا لا في حياة أخرى مثالية تتطهر فيها عن الماديات, و لهذا يرى مسكويه . تماما كما يرى أرسطو . أن الخير يتوزع في المقولات و يصعب أن يوجد كشيء مستقل بنفسه له كيانه الذاتي, يقول مسكويه :" و وجود الخيرات من المقولات كلها يكون على هذا المثال, أما في الجوهر. أعني ما ليس بعرض . فالله تبارك و تعالى هو الخير الأول, فإن جميع الخيرات تتحرك نحوه بالشوق إليه, و لأن مآل الخيرات الإلهية من البقاء و السرمدية والتمام منه. وأما في الكمية فالعدد المعتدل والمقدار المعتدل،وأما في الكيفية فكاللذاتوأما في الإضافة فكالصدقات والرياسات،وأمافيالأينوالمتى فكالمكان المعتدل والزمان الأنيقالبهيج،وأما في الوضع فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق،وأما في الملك فكالأموال والمنافع،وأما في الانفعال فكالسماع الطيب وسائر المحسوساتالمؤثرة،وأما في الفعل فمثل نفاذ الأمر ورواج الفعل، فالسعادة هي تمام الخيرات وغايتها"[16].

نعود الآن إلى تحديد موقف مسكويه حول علاقة السعادة بالخيرات الخارجية الجزئية. فهو يحاول الجمع بين رأي من يقول إن السعادة العظمى هي في الآخرة فقط،وبين رأي أرسطو الذي يجعلها في الدنيا أيضا، لنستمع إليه يقول:" ولما كان كل واحد من هاتين الفرقتين نظرت نظراً ما، وجب أن نقول في ذلك ما نراه صواباً وجامعاً للرأيين"[17]،وهذا الجمع نراه على شكل التالي:"إن الإنسان ذو فضيلة روحانية، يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة. وذو فضيلةجسمانية، يناسب بها الأنعام، لأنه مركب منهما. فهو بالخير الجسماني الذي يناسب

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

به الأنعام، مقيم في هذا العالم السفلي، مدة قصيرة ليعمره،وينظمه ويرتبه. حتى إذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي،وأقام فيه دائماً سرمداً، في صحبة الملائكة،والأرواح الطيبة"[18].

ومن جانبآخر، يقرر مسكويه أن بلوغ السعادة القصوى متوقف على تحصيل الحكمة بجزئيها النظري والعملي، " فبالنظري يمكن تحصيل الآراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة،وبهذين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عليها" [19]. وإذا حقق الإنسان الجزء الأول وتحلى به، صدق نظره،وصحتبصيرته،وأمن الخطأ في الاعتقاد،واستطاع أن يحدد غايته بوضوح،وأن يحدد الوسائل لبلوغها. وإذا الجزء الثاني تمسك بالفضائل،وصارتتصرفاتهمحمودة، بعيدة عن الرذيلة.

3-الشروط السعادة القصوى عند مسكويه:

1-أن يكون الإنسان قوياً معافى في جسمه كله، مزاجه معتدل، فالحالة الصحية للإنسان لها تأثيرها غي حالته العقلية،وعلى اتجاهه الأخلاقي نحو الخير أو نحو الشر، يقول مسكويه:" أن السعادة أفضل الخيرات،ولكننا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى إلى سعادات وهي التي في البدن"[20].

2-ومن الشروط الأساسية لبلوغ السعادة القصوى، الاجتماع بالناس، فالإنسان لا يبلغ كماله إلا مع أبناء جنسه وبمعونتهم. ويذهب مسكويه إلى أن الزاهد يجور على غيره لأنه يستنجد الناس في ضروراته ويطلب معاونتهم ثم لا يعاونهم،وهذا هو الظلم والعدوان،وحول علاقة السعادة بالاجتماع البشري نقرأ له ما يلي:" ... ولذلك وجب أن تكون أشخاص كثيرة،وأن يجتمعوا في زمان واحد، على تحصيل هذه السعادات المشتركة ليكتمل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له، فتكون الخيرات مشتركة والسعادة مفروضةبينهم،فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد منهم بجزء منها ويتم للجميع بمعاونة الجميع الكمال الإنسي وتحصل لهم السعادات" [21]. وقوام هذا الاجتماع هو فضيلة المحبة،وهو يتبنى فكرة أرسطو القائلة بأن الإنسان مدني بالطبع.

أ-أقسام السعادة عند مسكويه:

يقدم مسكويه تقسيم أرسطو للسعادة على تقسيمه الخاص،فيقول:"وأما أقسام السعادة على مذهب هذا الحكيم فهي خمسة أقسام:

أحدهما: في صحة البدن،ولطفالحواس،ويكون ذلك من اعتدال المزاج، أعني أن يكون جيد السمع،والبصر،والشم، والذوق واللمس.

والثاني: في الثروة والأعوان وأشباههما،حتى يتسع لأن يضع المال في موضعه.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

والثالث: أن تحسن أحدوثته في الناس،وينشر ذكره بين أهل الفضل.

والرابع: أن يكون منجحاً في الأمور،وذلك إذا استتم كل ما روى فيه،وعزم عليه حتى يصير إلى ما يأمله منه.

والخامس: أن يكون جيد الرأي، صحيح الفكر، سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه جيد المشورة في الآراء.

فمن اجتمعت له هذه الأقسام فهو السعيد الكامل، على مذهب هذا الرجل الفاضل"[22].

بعد هذا يعطي تقسيمه الخاص وهو على النحو التالي:

1-سعادة الأبدان: وهي تتحقق بالأشياء الحسية المتعلقة بأحوالها السفلى التي يسعد بها، إلا أنه في نفس الوقت يطالع الأمور الشريفة، باحثاً عنها، مشتاقاً إليها متحركاً نحوها، مغتبطاً بها.

2-سعادة الأرواح الطيبة المستغنية عن الأبدان: وهي لا تحتاج إلى شيء من السعادات البدنية سوى سعادة النفس فقط، أعني المعقولات الأبدية التي هي الحكمة.

3-سعادة الأبدان والأرواح معاً: ما دام الإنسان إنساناً فلا يتم له السعادة إلا بتحصيل الحالين معاً (كنا تعرفنا على هذا الموقف في السابق).

ب-الفضيلة:

يرتبط الحديث عن الفضيلة وأنواعها عندمسكويه بالحديث عن النفس وقواها ارتباطاًكبيراً،ولهذا رأينا من الضروري أننا نقدم تعريفه للنفس وقواها ثم التطرق إلى موضوع الفضيلة،وأنواعها ونظرية الوسط العادل.

أ-النفس وقواها: لقد اهتم مسكويه بأمر النفس كغيره من فلاسفة الإسلام، فعرفها على أنها" ليست جسماً ولا جزءاً من جسم ولا عرض" [23]،وأنها تتميز عن الجسم وأرفع منه مرتبة لأنها شيء آخر مفارق للجسم بجوهره وأحكامه وخواصه وأفعاله. ومن ثمة كانت فضيلتها هي " شوقها إلى أفعالها الخاصة بها، أعني العلوم والمعارف، مع هروبها من أفعال الجسم الخاصة به" [24]،التي هي الغضب والشهوة. ومن هذا التعريف المقدم للنفس واختلافها عنالجسم، يحدد مسكويه قوى النفس التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القوة الأولى وهي القوةالناطقة، يقصد بها " القوة التي بها يكون الفكر والتمييز،والنظر في حقائق الأمور"[25]،ويسميها ابنمسكويه " الملكة" وآلتها الدماغ.

والقوة الثانية، هي القوة الغضبية،ويقصد بها "القوة التي بها يكون الغضب والجدة والإقدام علىالأهوال،والشوق إلى التسلط والترفع وصنوف الكرامات"[26]،ويسميها مسكويه " السبعية" وآلتها القلب.

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والقوة الثالثة هي القوة الشهوانية ويقصد بها "القوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاءوالشوق إلى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح،وضروب اللذات الحسية"[27]،ويسميها مسكويه " البهيمية" وآلتها الكبد.

بعد هذا التقسيم يحدد مسكويه فضيلة كل قوة من قوى النفس. ففضيلة النفس الناطقة . أي العاقلة . الحكمة،وهي تأتي عن العلم. وفضيلة النفس الغضبية هي الشجاعة وهي تنتج عن الحلم. أما فضيلة النفس البهيمية (الشهوانية) فهي العفة.

يضيف إلى هذه الفضائل الثلاث فضيلة " العدالة"،والتي تنتج عن الاعتدال والتوسط بين الفضائل الثلاث المذكورة (الحلم،الشجاعة،العفة)،وعدم طغيان قوة على أخرى، حيث يقول:" لذلك أجمع الحكماء على أن أجناس الفضائل أربعة: وهي الحكمة،والعفة،والشجاعة،والعدالة" [28]. وسنعود إلى هذه الفضائل عند التطرق إلى نظرية الوسط العدل عنده.

ويمكن توضيحقوى النفس والفضائل المتولدة عنها من خلال الرسم التالي:

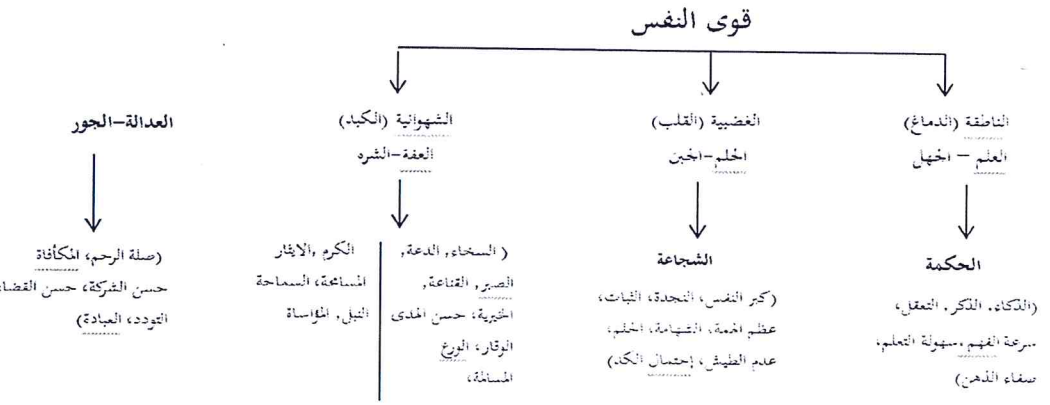

بعد هذا الإيضاح للنفس وقواها عند ابن مسكويه، نعود إلى موقفه من الفضيلة،ونواصل تحديد هذا العنصر من خلال توضيح علاقة الفضيلة بالمعرفة،وأنواعالمعرفةونظرية الوسط الفاضل.

4-علاقة الفضيلة بالمعرفة:

يخوض مسكويه في إشكالية علاقة الفضيلة بالمعرفة،ويعالجها تحت عنوان " مسألة عويصة أولى"،وفيها ينحاز إلى موقف سقراط. فيرى أن الفضيلة معرفة. ويضع ابن مسكويه المسألة هكذا:"إذا كانت العدالة فعلاً اختيارياً يتعاطاه العادل، ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه، والمحمدة من الناس، فيجب أن يكون الجور فعلاً اختيارياً، يتعاطاه الجائر، ويقصد به تحصيل الرذيلة لنفسه، ومذمة الناس، ومن القبيح الشنيع أن يظن بالإنسان العاقل أنه

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

يقصد الإضرار بنفسه بعد الروية، وعلى سبيل الاختيار" [29]،يمكن أن نصيغ من هذه المقولة الإشكالية التالية: هل من المعقول أن يقترف الإنسان الرذيلة عن روية واختيار؟ ويؤيد مسكويه الإجابة التي يقترحها بعض الحكماء الذين "قالوا: إن من ارتكب فعلاً يؤد به إلى الضرر أو عذاب فإنه يكون ظالماً لنفسه،وضاراً لها، من حيث يُقدر أنه ينفعها،وذلكلسوءاختياره،وترك مشاورة العقل فيه"[30].

ويقد لنا أدلة لتوضيح موقفه ،"فمثالذلك:الحاسد، فإنه ربما جنى على نفسه، لا على سبيل الإضرار بها، بل لأنه يظن أنه ينفعها في العاجل بالخلاص من الأذى الذي يلحقه من الحسد"[31].

والدليل الآخر هو أننا "نجد العاقل إذا تغيرت أحواله تلك فصار من الغضب إلى الرضا،ومن السُّكر إلى الإفاقة، تعجب من نفسه،وقال: ليت شعري كيف اخترت تلك الأفعال القبيحة؟ ويلحقه الندم،وإنما ذلك لأن القوة التي تهيج به تدعوه إلى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحاً له، جميلاً به، لتتم له حركة القوة الهائجة به، فإذا سكن عنها،وراجع عقله رأى قبح ذلك الفعل وفساده"[32].

أ-أنواع الفضيلة:

من الواضح تأثر مسكويه بأرسطو في تقسيم الفضائل إلى فضائل نظرية وفضائل عمليةأخلاقية، بناء على تقسيم النفس الناطقة أو العقل إلى عقل نظري وعقل عملي، أما تأثره بأفلاطون، فيبدو في حديثه عن الفضائل الخلقية كما سنرى.

[-الفضيلة النظرية (الفضيلة الفلسفية): لقد رأى ابن مسكويه أن " هناك فضيلة أخرى للنفس، بجانب الفضائل الأخلاقية،هي بها (للنفس) أسبه وأنسب، أعني التشوق للمعارف والعلوم وطلبها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك،لأنتمامالنفس الناطقة هو بالاستكمال بالعلوم والاتحاد بالعقل الفعّال"[33].

وللوصول إلى هذا النوع من الفضيلة يتم بالتدرج وفق مراتب وهي:

أ-مرتبة فضيلة السعادة: وهي مرتبتان:

المرتبة الأولى: " أن يصرف الإنسان إرادته ومحاولاته إلى مصالحه في العالم المحسوس والأمور المحسوسة في أمور النفس،والبدن وما كان من الأحوال متصلاً بها مشاركاً لهما من الأمور النفسانية،ويكون تصرفه في الأحوال المحسوسة تصرفاً لا يخرج به عن الاعتدال الملائم لأحواله الحسية"[34].

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والمرتبة الثانية:"وهي التي يصرف فيها الإنسان إرادته ومحاولاته، إلى الأمر الأفضل، من صلاح النفس والبدن، من غير أن يلتبس مع ذلك بشيء من النفسيات المحسوسة، إلا بما تدعوه إليه الضرورة"[35].

ب-الفضيلة الإلهية المحضة: "وهي التي لا يكون فيها تشوق إلى آت،ولا تلفت إلى ماضٍ ولا تشيعلحال،ولا تطلع إلى ناء،ولاظنبقريب،ولاخوفولا فزع من أمر،ولا ما تدعو الضرورة إليه من حاجة البدن والقوى الطبيعيةولاالقوىالنفسانية، لكن يتصرف بتصرف الخير العقلي في أعالي رتب الفضائل،وهو صرف الوقت إلى الأمور الإلهية ومعاناتها بلا طلب عوض"[36].

ج-آخر رتبة. وهي أن تكون أفعال الإنسان كلها أفعال إلهية،وهذه الأفعال هي خير محض،وسبيل ذلك كما يحدده مسكويهبقوله:"فأفعال الإنسان إذا صارت كلها إلهية، فهي كلها إنما تصدر عن لبه وذاته الحقيقية التي هي عقله الإلهي الذي هو ذاته بالحقيقة،وتزول وتتصدر سائر دواعي طباعه البدني بسائر عوارض النفسين البهيميتين،وعوارض التخيل المتولد عنهما،وعن دواعي نفسه الحسية، فلا يبقى له حينئذ إرادة ولا همة خارجتان عن فعله من أجلها يفعل ما يفعل، لكنه يفعل ما يفعله بلا إرادة ولا همةفي سوى الفعل"[37].

رغم حالة التصوف التي تلمس في هذا التدرج في المراتب إلا أن ابن مسكويه " لا يذهب مذهب المتصوف لأنه يربط هذا التدرج بالأخلاق وسلوك سبيلالحكمة(الفلسفة) وليس بالزهدومجاهدةالبدنوشهواته كما يفعل المتصوفة"[38].وعند قراءتنا لكتابه " تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" نجد أن مسكويه يتحدث عن الفضائل النظرية حديثاً مقتضباً.

ب-الفضيلة الخلقية (العملية):

على خلاف الفضائل النظرية، نجد مسكويه، يتحدث عن الفضائل الأخلاقية في كتابه حديثاً مفصلاً شارحاً وموضحاً. والسبب في ذلك هو أن غرض الكاتب هو غرض عملي .كما سبق وأشرنا إلى ذلك . أي السعادة العملية التي تترتب على الفضائل الخلقية وهذا ما صرح به في قوله:"غرضنا في هذا الكتاب، أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة"[39].

الفضيلة الخلقية تتعلق بالعقل العملي،وتحقق للإنسان التوفيق في تصرفاته مع غيره من بني جنسه،وهذه الفضائل تكتسب بالتربية والاعتياد . سنفصل في هذا الأمر عند حديثنا على الخُلق . وهي تتصل بكمال الإنسان القريب أو السعادة الأخلاقية وتمهد للوصول إلى السعادة القصوى.

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

والفضيلة الخلقية تعود في أصولها إلى الفضائل الأخلاقية الأربعة التي نجدها عند أفلاطون وهي: الحكمة،والشجاعة،والعفة،والفضيلة. وتعتبر أضدادهارذائل، فإذا كانت أمهات الفضائل أربعاً فإن كل منها يتضمن فضائل أخرى تندرج تحتها وتعتبر أجزاء منها.

وإذا عدنا إلى الرسم السابق، فإننا نجد أن لكل قوة من قوى النفس فضيلة خلقية تقابلها، فالقوة العاقلة فضيلتها الحكمة،والقوة الشهوانية فضيلتها العفة،والقوة الغضبية فضيلتها الشجاعة. وبانسجام هذه الفضائل الثلاثة واعتدالها تنتج الفضيلة الرابعة وهي فضيلة العدالة.

ج–الفضيلة والوسط العدل:

الضابط غي إطلاق الفضيلة على أي سلوك أو أي عمل هو الاعتدال أو التوسط كما يراه المعلم الأول. فمسكويه يقرر مثل أرسطو بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فهو يقول:" وينبغي أن يفهم من قولنا: أن كل فضيلة هي وسط بين رذائل " [40]،فالفضيلة تمثل مركز الدائرة فهو يقول:" وقد نجد للفضيلة الواحدة أثر من طرف واحد،وذلك إذا تصورنا الفضيلة مركزاً،وأخرجنا منه خطاً مستقيماً، فحصلت له نهاية: أمكننا أن نخرج من الجانب الآخر المقابل له خطاً آخر على استقامته، فتصير له نهاية أخرى ويصيران جميعاً مقابلين للمركز الذي فرضناه فضيلة، إلا أن أحدهما يجري مجرى الإفراط والغلو،والآخريجريمجرى التفريط والتقتير"[41].

إن هذا التوضيح يتيح لنا أن نقيم الجدول التالي الذي تستبين فيه المركز بين قطبين متضادين يشكلان الرذيلة"[42].

بَلَه ـــــ حكمة ـــــ سَفَه

جُبْن ـــــ شجاعة ـــــ تهوُّر

خمود ـــــ عِفَّة ـــــ شَره

انظلام ـــــ عدالة ـــــ ظُلْم

هذا الوسط الذي يكون الفضيلة يظهر من كلام مسكويه أنه ليس الوسط الذي نجده في الحساب مثلاً، فهو هدف صعب إصابته، كما أن التمسك به دائماً أصعب، يقول مسكويه :" ولهذاصعب جداً وجود هذا الوسط، ثم التمسك به بعد وجوده أصعب. لذلك قالت الحكماء: إصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطئها أعسر وأصعب"[43].

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ويظل مسكويه مخلصاً لنموذجه لأرسطو طاليسي، بحيث " انه يعيد إدخال الذات عن طريق القول بأن الفضيلة وسط موضوعي يختلف تحديده باختلاف الظروف التي يجد فيها كل واحد نفسه مدعواً لممارسة الفضيلة"[44].

ولتوضيح هذا الإخلاص والتأثر، نورد عبارة ابن مسكويهالتالية:"ويجب أن تطلب أوساط تلك الأطراف بحسب كل فرد فرد"[45].

بعد التعرف على رأي مسكويه في الوسط العدل، توضيح مدى تأثره في ذلك بالمعلم الأول، نحاول الآن تطبيق هذا الوسط على الفضائل الخلقية الأربعة.

د-الفضائل الخلقية الأربع:

نجد لدى مسكويه تحليل معمّق لهذه الفضائل الأربعة وما يتفرع عنها من أقسام وفروع، كما رأينا في الرسم السابق،ولا يمكن لأي باحث أن يتحدث عن الفضيلة عند ابن مسكويه دون التطرق إلى أمهات الفضائل عنده وهي:

أولاً: فضيلة الحكمة:

هي فضيلة النفس الناطقة المميزة "وهي أن تعلم الموجودات كلها، من حيث هي موجودة" [46]،وهي وسط بين السفه والبله، يقول ابن مسكويه:"أعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية التي فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي وسماه القومالجربزة،وأعني بالبله تعطيل هذه القوة وإطراحها،وليس ينبغي أن يفهم ههنا نقصان الخلقة، بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالإرادة"[47].

والأقسام التي تحت الحكمة وهي:"الذكاء،والذكر،والتعقل،وسرعةالفهموقوته،وصفاءالذهن،وسهولةالتعلم،وبهذه الأشياء يكون الاستعداد للحكمة"[48].

ثانياً: فضيلة الشجاعة:هي فضيلة النفس الغضبية، "وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة،واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة" [49]،وهي وسط بين رذيلتين أحدهما الجبن،والآخر التهور، " أما الجبن فهو الخوف مما لا ينبغي أن يخاف منه،وأما التهور فهو الإقدام على ما ينبغي أن يقدم عليه" [50].والأقسام التيتحت الشجاعة هي:" كبر النفس،والنجدة،وعظمالهمة،والثبات،والصبر،والحلم،وعدمالطيش،والشهامة،واحتمال الكد"[51].

المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

ثالثاً: فضيلةالعفّة:هي فضيلة القوة الشهوانية. وهي وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوة "وأعني بالشره الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي،وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته،وهي ما رخص فيه صاحب الشريعة والعقل"[52].

أما الفضائل التي تحت العفّة فهي:"

الحياء،والدعة،والصبر،والسخاء،والحرية،والقناعة،والدماثة،والمسالمة،والوقار،والورع"[53].

رابعاً: فضيلة العدالة:تكون بانسجام الفضائل الثلاثة الأولى،وهي وسط بين رذيلتين هما الظلم والإنظلام، "أما الظلم فهو التوصل إلى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي كما لا ينبغي،وأماالإنظلام فهو الاستخذاءوالاستماتة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما ينبغي"[54].

أما الفضائل التي تحت العدالة فهي:" الصداقة، والألفة،وصلةالرحم،والمكافأة،واستعمالاللطف،وركوب المروءة في جميع الأحوال، وحسن التودد،وتركالمعاداة،والبحث عن سيرة من يحكى عنه العدل"[55].

ويلاحظ أنمسكويه يستخدم لفظ " العدالة " بمعنيين يقصدهما تماماً:

أ –هو الاعتدال والتوسط والاتزان بين تلك الفضائل الكبرى (الحكمة،الشجاعة، العفة) وعدم طغيان قوة على أخرى، فهي إذن عدالة داخلية أو باطنية في النفس الإنسانية.

ب –هو المعنى الاجتماعي المضاد للظلم، باعتبار الإنسان مدني بالطبع.

"لكنه لا يتعمق في دراسة العدالة كثيراً ولا يذهب بعيداً لكي يشمل دواليب الأجهزة الحكومية والدساتير الممكنةوالعلاقات المحسوسة الكائنة بين المواطنين،ولكنه يظل محصوراً في جو" رسالة الأخلاق إلى نيقوماخوس". وهذا دليلعلى أنه لم يطلع على كتاب أرسطو الآخر" السياسة"[56].

يعطي مسكويه فضيلة العدالة المقام الأول ويصفها بالتمام،والشرف، فهو يقول:"ولما كانت العدالة وسطاً بين أطراف،وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص إليها صارت أتم الفضائل وأشبهها بالوحدة. وأعني بذلك: أن الوحدة التي لها الشرف الأعلى،والرتبة الأقصى" [57]،لأنها توجد فيما بين الفضائل كلها،وهي شرط أساسي لها، فالعفيف لا يمكن أن يكون عفيفاً ألا إذا كان عادلاً، أي أن يعرف كيف يتوسط وكيف يساوي بين الأمور. وكذلك الحكيم لا يصل إلى درجة الحكمة إلا إذا أقام العدل في مختلف معارفه فيبتعد عن السفه والبله.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

وابن مسكويه يدرج ضمن " نزعة أسلمة الأخلاق اليونانية"[58]،التي ظهرت في عصره،وذلك عندما يربط بين العدالة والشريعة، لأن "الشريعة تأمر بالعدالة أمراً كلياً،وليست تنحط إلى الجزئيات .... وبهذا النوع من العدل قامت السنواتوالأرض"[59].

ومن جهة أخرى، نجد مسكويه لا يهمل النظرة الاجتماعية للفضائل الخلقية، بل إنه ليرى ضرورة وجود المجتمع لتتحقق الفضيلة و السعادة، وما ذلك إلا لأن الاختلاط بين الناس هو المحك الذي تظهر به الفضيلة أو الرذيلة، و حول هذه الفكرة، نقرأ في كتابه ما يلي :"إن الفضائل الخلقية إنما وضعت من اجل المعاملات والمعاشرات التي لا يتم الوجود الإنساني إلا بها، وذلك أن العدل احتيج إليه لتصحيح المعاملات، وليزول به معنى الجور، وإنما وضعت العفة لأجل اللذات الرديئة، وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الأمور الهامة التي يجب أن يقدم الإنسان عليها لأي بعض الأوقات ولا يهرب منها ... لذلك ذممنا المتوسمين بالزهد إذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال والمغارات، لأنهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية،وكيفيعفويعدل ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم"[60].

5-الخُلق بين الفطرة والاكتساب:

يعالج مسكويه قضية الخلق بين الفطرة والاكتساب،ويبدأ بتعريف الخُلق بأنه "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية" [61].ويرى محمد عابد الجابري "بأن هذا التعريف هو في الحقيقة لجالينوس وأن لم ينسبه إليه صراحة"[62]،ويضيف مسكويهقائلا:"وهذه الحال تنقسم قسمين: منها ما يكون طبيعياً ومن أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب. ويهيج لأقل سبب... ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب،وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً حتى يصير ملكة وخلقاً" [63]، معنى هذا القول، أن هذه الحال منها ما يكون طبيعياً كالذي تسوقه فطرته ومزاجه للبذل أو الإمساك، أو الجبن أو الشجاعة في العمل ويستمر على ما تعود حتى يصير له خُلقاً راسخاً.

ولمعالجة هذه القضية يستعين بالمنهج الأرسطو طاليسي والمتمثل في عرض الآراء حول القضية المطروحة ثم مناقشتها بعد ذلك، وهو أسلوب فلسفي، فهو يرفض الرأي القائل "من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه"[64]، فهذا الرأي في نظره، يؤدي إلى إبطال قوة التمييز والعقل «وإلى رفض السياسات كلها،وترك الناس همجاً مهملين،وإلى ترك الأحداث والصبيان على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليموهذا ظاهر الشناعة جداً" [65]. وبعد هذاالنقد، يعرض لنا مسكويه رأي جالينوس في القضية، الذي يذهب إلى أن من الناس الخيّر بالطبع الذين لا

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

ينتقلون إلى الشر وهم قليلون،والشر بالطبع الذين لا ينتقلون للخير وهم كثيرون،والمتوسطون بين هذين الضربين،وهؤلاء ينتقلون للشر أو للخير حسب البيئة التي ينشؤون فيها.

وهو يوافق جالينوس فيما ذهب إليه بصريح العبارة، فهو يقر في نهاية عرض هذا الرأي " بان هذا الرأي هو الذي نختاره"[66]. فالواقع يؤكد ما ذهب إليه جالينوس من جهة،ومن جهة أخرى ملاحظة انتقال الصبي الناشئ من حال لحال نبعاً للبيئة التي تحوطه ولنوع التربية التي يتلقاها.

وأخيراً يتعرض لرأي أرسطو،وهو أن كل خلق يمكن تغييره فلا يكون إذن شيء منه بالطبع " لأن أخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن يؤثر ضروب التأثير في ضروب الناس، فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك إلى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك إلىالفضيلة بإبطاء"[67].

فمسكويه إذن من القائلين بقبول الأخلاق للتغيير، فإذا كان في تعريف الخلق يقول "بأن منه ما يكون طبيعياً ومن أصل المزاج" فليس معنى هذا أنه يكون فطرة فُطر المرء عليها لا يستطيع منها فكاكاً ولا لهاتغييراً، بل انه يكون من السهل صدور الأفعال التي تناسبه وتتسق معه.

الخاتمة:في ختام هذا المقال، نستطيع أن نقول بأن مسكويه قد بحث في عديد من المجالات المعرفية، إلا أن التيار الرئيسي لفلسفته إنما تمثل في الأخلاق والاهتمام بالبحث فيها. ونستطيع القول أيضاً بأن هذا التيار الخاص بفلسفته إنما استفاده من عديد من المصادر الإسلامية والأجنبية، أبرزها الأخلاق الأرسطية، "غير أن مسكويه لم يُفلحّ، من حيث التفاصيل في التوفيق بين مختلف النظريات اليونانية الأخلاقية التي أدخلها في مذهبه،ولا في التوفيق بينها وبين أحكام الشريعة الإسلامية" [68]،ورغم هذا يضيف دي بور قائلاً:" كما ينبغي أن نعترف بأن فيلسوفنا أظهر في بسط مذهبه سلامة في التفكير وسعة في العلم"[69].

الهوامش:

*-ولد مسكويه بالري إحدى مدن بلاد فارس 325 هـ على الصحيح. وعاش حياة طويلة امتدت إلى سنة 421 هـ حيث مات بأصبهان. وهو معاصر للبيروني وابن سينا. وهو فارسيالأصل، لقد اختلف العلماء في اسمه، فذكر البعض كالبيهقي والشهرزوري مثلاً أن اسمه " أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه" ولكن الأغلبية من القدماء كأبي حيان التوحيدي والثعالبي والخوارزمي وغيرهم يرون أن اسمه " أبو علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه" ويترتب على هذا أن كلمة " مسكويه" لقب لفيلسوفنا، بينما تصبح كلمة مسكويه اسماً لجده على الرأي الأول. لقد اتصل ابن مسكويه بكثير من وزراء وأمراء الدولةالبويهية التي عاش في عهدها ونشأ في كنفها. ويعتبر

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

مسكويهمن الشخصيات التي عرفت بخصوبة التأليف، فقد طرق العديد من أبواب المعرفة، فألف في الفلسفة والتاريخ والأدب والأخلاق،وقد أتاح له ذلك ما كان عليه من ثقافة واسعة وحسن إطلاعوفكر ثاقب. وحسبنا هنا أن نشير إلى أهم مؤلفاته وبخاصة في مجال الأخلاق: -تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، -الفوز الأصغر، -كتاب تجارب الأمم، -الفوز الأكبر (يعتقد بعض الباحثين أنه هو نفسه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)، -كتاب السعادة أو ترتيب السعادات، -جاويذان خرد (بالعربية الحكمة الخالدة)

1-محمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1992، ص 310.

2-حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، المجلد الثاني (التحول)، دار قباء، القاهرة، 2000، ص 98.

3-مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة, 2001، ص 7.

4-مسكويه، المصدر نفسه، ص 19.

5-مسكويه، المصدر نفسه، ص 20.

6-مسكويه، المصدر نفسه، ص 83.

7-مسكويه، المصدر نفسه، ص 83.

(**)-هو جالينوس كلوديوس، طبيب وفيلسوف يوناني ولد في برغاما عام 129 أو 131 مومات في روما عام 199 أو 201 م. يعد جالينوس الشخصية الطبية الثانية بعد أبوقراط في الأهمية،ويُعرف عند العرب " بفاضل الأطباء" وذلك أنه ربط الطب والفلسفة وأكد على أنه ينبغي على الطبيب أن يكون فيلسوفاً. ويتجلى أثره الفلسفي في ميدان الأخلاق، حيث تنسب إليه المصادر العربية عدداً من التصانيف الخلقية نذكر منها: كتاب " انتفاع الأخيار بأعدائهم"، " تعرف المرء عيوب نفسه"، "في صرف الاغتمام"، و " كتاب الأخلاق". ولهذه المؤلفات تأثير كبير على الفكر الأخلاقي العربي، خاصة على الكندي ومسكويهوفخر الدين الرازي.

8- Mohamed Arkoune, contribution à l'étude de l'humanisme arabe au iv^{e}/x^{e}siécle, Miskawayh philosophe et histoire, librairie philosophique j, vrain, Paris, p143.

9-مسكويه، المصدرالسابق، ص 84.

10-مسكويه، المصدر نفسه، ص 86.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

11-مسكويه،المصدر نفسه، ص 87.

12-مسكويه، المصدرنفسه، ص 51.

13-مسكويه، المصدر نفسه، ص 50.

14-MohamedArkoune, ibid, p290.

15-مسكويه، المصدر السابق، ص 51.

16-مسكويه، المصدر نفسه، ص 85.

17-مسكويه، المصدر نفسه، ص 89.

18-مسكويه، المصدر نفسه، ص 89.

19-محمد يوسف موسى، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفةالإغريقية، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط 3 ،1994، ص 96.

20-مسكويه، المصدر السابق، ص 86.

21-مسكويه، المصدر نفسه، ص 20 -21.

22-مسكويه، المصدر نفسه، ص 86.

23-مسكويه، المصدر نفسه، ص 12

24-مسكويه، المصدر نفسه، ص 16.

25-مسكويه، المصدر نفسه، ص 21.

26-مسكويه، المصدر نفسه، ص 21.

27-مسكويه، المصدر نفسه، ص 22.

28-مسكويه، المصدر نفسه، ص 22.

29-مسكويه، المصدر نفسه، ص 131.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

30-مسكويه، المصدر نفسه، ص 131.

31-مسكويه، المصدر نفسه، ص 131.

32-مسكويه، المصدر نفسه، ص 132.

33-محمد يوسف موسى، المرجع السابق، ص 89 -90.

34-مسكويه، المصدر السابق، ص 92.

35-مسكويه، المصدر نفسه، ص 93.

36-مسكويه، المصدر نفسه، ص 93.

37-مسكويه، المصدر نفسه، ص 94.

38-محمد عابد الجابري،العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ص 315.

39-مسكويه، المصدر السابق، ص 7.

40-مسكويه، المصدر نفسه، ص 30.وأيضاً كتاب "الأخلاق إلى نيقوماخوس" ج1،ك 2،ب 6، ف15، ص 148.

41-مسكويه، المصدر نفسه، ص 192.

42-MohamedArkoune, ibid, p290.

43-مسكويه، المصدر السابق، ص 30.

44-MohamedArkoune, ibid, p300.

45-مسكويه، المصدر السابق، ص 192.

46-مسكويه، المصدر نفسه، ص 25.

47-مسكويه، المصدر نفسه، ص 31.

48-مسكويه، المصدر نفسه، ص 25.

49-مسكويه، المصدر نفسه، ص 25.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

50-مسكويه، المصدر نفسه، ص 33.

51-مسكويه، المصدر نفسه، ص 28.

52-مسكويه، المصدر نفسه، ص 32.

53-مسكويه، المصدر السابق، ص 25 . 26.

54-مسكويه، المصدر نفسه، ص 33.

55-مسكويه، المصدر نفسه، ص 28.

56-MohamedArkoune, ibid, p302.

57-مسكويه، المصدر السابق، ص 117.

58-محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 418.

59-مسكويه، المصدر السابق، ص 134.

60-مسكويه، المصدر نفسه، ص 166 . 167.

61-مسكويه، المصدر نفسه، ص 39.

62-محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 410.

63-مسكويه، المصدر السابق، ص 39.

64-مسكويه، المصدر نفسه، ص 39.

65-مسكويه، المصدر نفسه، ص 40.

66-مسكويه، المصدر نفسه، ص 39.

67-مسكويه، المصدر نفسه، ص 41.

68-ت،ج، دي بور، المرجع السابق، ص 254.

69-ت،ج، دي بور، المرجع نفسه، ص 254.

ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200 المجلد التاسع/ العدد الثالث أبريل 2018

قائمة المصادر والمراجع:

1-محمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1992.

2-حسن حنفي، من النقل إلى الإبداع، المجلد الثاني (التحول)، دار قباء، القاهرة، 2000.

3-مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة, 2001.

4-MohamedArkoune, contribution à l'étude de l'humanisme arabe au iv^{e}/x^{e}siécle, Miskawayh philosophe et histoire, librairie philosophique j, vrain, Paris, p143.

5-محمد يوسف موسى، فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفةالإغريقية، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط 3 ،1994.

6-محمد عابد الجابري،العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001.